مؤتمر الصومام عام 1956 وإشكالية تجسيد قراراته

بقلم
د/ محمد يعيش(*)

ملخص

في هذا المقال حاولنا تناول إشكالية مهمة في تاريخ ثورتنا، تمثلت في مسألة تجسيد قرارات مؤتمر الصومام، والتي لم تكن سهلة وممكنة إلا بعد جهد كبير وفترة زمنية، وذلك يرجع إلى عدم انسجام بعض تلك القرارات مع واقع الثورة المعاش، ومثالية بعضها الآخر، وخاصة القرار المتعلق بأولوية الداخل على الخارج وأولوية السياسي على العسكري، وعليه أثيرت معارضة شديدة في الداخل والخارج، وكل ذلك اندرج في إطار الصراع السياسي بين عبان في الداخل وابن بلة في الخارج، وكانت ساحته الرئيسية قاعدة تونس والأوراس، وتعرضت الثورة لمحنة شديدة، لم تنتهي إلا بخسائر جسيمة وبجهود ضيعت في حمل المعارضين على تقبل تلك القرارات، وفي نهاية المطاف تبين أن قرارات الصومام وعلى الرغم من بعض الانتقادات كانت مفيدة للثورة على الصعيد التنظيمي والوحدوي، وهذا ما نحاول تناوله في هذا المقال.

الكلمات المفتاحية: الثورة الجزائرية، مؤتمر الصومام، تجسيد قرارات الصومام، معارضة قرارات الصومام.

مقدمة

يعتبر مؤتمر الصومام حدثا مهما وحاسما في تاريخ الثورة التحريرية، فقد فعلت قراراته النشاط السياسي والعسكري للثورة، وأوضح ميثاقه مبادئ وأهداف الكفاح التحرري، وإن كان الإجماع حاصل على أهمية المؤتمر كحدث إلا أن بعض مقرراته لم تحض بالإجماع وتعرضت للانتقاد، وهو ما جعل كثير من قضايا المؤتمر مثار جدل ونقاش، فعلى الرغم من إصرار القيادة الجديدة على التنفيذ الصارم لتلك المقررات، فقد تأخر تعميم تجسيد المقررات في بعض المناطق إلى النصف الأول من

(*) أستاذ محاضر"أ" بقسم التاريخ ـ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ جامعة المسيلة.
yaichemohamed50@yahoo.fr

سنة 1957، فلماذا أخذ هذا الخلاف منحى الصدام والمواجهة؟، وكيف تمت تسوية الانعكاسات التي خلفها الصراع على مشروعية الصومام؟، هذا ما نحاول التعرف عليه من خلال توضيح كثير من ملابسات المؤتمر وبيان سبل تجسيد قراراته والصعوبات التي اعترضت ذلك.

أولا ـ ظروف انعقاد مؤتمر الصومام:

انعقد المؤتمر في ظروف صمم فيها العدو القضاء على الثورة، وظهرت أطماع القادة الفرنسيين في الاعتماد عل الوسائل العسكرية والسياسية لإخماد الثورة في مختلف المناطق، ورغم صعوبة التنسيق والاتصال بين المناطق فقد قطعت الثورة شوطا كبيرا وحققت انتصارات باهرة منذ اندلاع الثورة وإلى غاية انعقاد المؤتمر، وترجع فكرة المؤتمر إلى لحظة اندلاع الثورة حيث اتفق قادتها في اجتماع 23 أكتوبر 1954 على عقد مؤتمر عام في جانفي 1955، ونظرا للظروف الصعبة التي كانت تواجهها الثورة، خاصة في التنسيق والاتصال، وبحكم تعرض أغلب قادة مناطق الثورة الخمسة للاستشهاد أو الاعتقال فان الفكرة تأخر تجسيدها.

وفي سنة 1956 توجهت جهود التنسيق التي بعثها عبان رمضان مع قادة المنطقة الثانية بالاتفاق على عقد مؤتمر عام لقادة الثورة بمنطقة الشمال القسنطيني، وتفيد الشهادات أن المقترح جاء من قبل زيغود الذي أكد لمبعوث عبان استعداد منطقته الكامل لإنجاح المؤتمر، واقترح منطقة بوزعرورة بالقل مكانا للاجتماع (كافي، ع، 1999: 97)، وتؤكد شهادة أوعمران أن زيغود أرسل برقية لعبان في هذا الشأن اطلعا عليها رفقة ابن امهيدي، وبعد مناقشة الموضوع أرسلت برقية لإعلام وإشراك الوفد الخارجي في الموضوع (أوعمران، ع، 1984: ج2، ص 108)، ولكن ظهرت بعض الصعوبات حالت دون عقده هناك، كما تعذر عقده بجبال سوق اهراس في عهد مصطفى ابن بوالعيد، والذي شكل لجنة لتحضير المؤتمر وطلب منها الاتصال بقيادة الشمال القسنطيني وقيادة الخارج (عثماني، ع، 1999: 505 506)، وبعد الاتصالات والمداولات بين القادة في الداخل والخارج تم الاتفاق على عقد هذا المؤتمر في منطقة البيبان (Mabrouk,,b, 2000, ;114 -115)، وذلك باعتبارها منطقة تتوسط مناطق الشرق والغرب وقريبة من مدينة الجزائر مقر قيادة عبان، وإثر اشتباك خاضه الوفد القادم من العاصمة بمشدالة وفرار البغل الذي كان يحمل بعض وثائق المؤتمر لمعسكر العدو تقرر نقل الاجتماع إلى الضفة اليسرى للوادي التي كان يشرف عليها عميروش، واختيرت قرية ايفري بأوزلاقن قرب مدينة أقبو غرب بجاية كمقر للمؤتمر، وحدد تاريخ 14 أوت 1956 موعدا لانعقاده(امقران، ع،

مقابلة يوم 6 أفريل 2008).

افتتح المؤتمر أعماله يوم الثلاثاء 14 أوت 1956 لتنتهي يوم 23 أوت، وذلك بمشاركة معظم قادة الثورة عدا الوفد الخارجي وممثلي منطقة أوراس النمامشة، وشارك في مداولات الاجتماع رمضان عبان ممثلا لمنطقة الجزائر العاصمة، وكريم بلقاسم ممثلا للمنطقة الثالثة، وعمار أوعمران ممثلا للمنطقة الرابعة، وزيغود يوسف ومعه ابن طوبال استثناءا ممثلين للمنطقة الثانية، ومثل ابن مهيدي المنطقة الخامسة دون أن يستشير نوابه.

وخلال جلسات الاجتماع تم تقييم حصيلة اثنين وعشرين شهراً من الكفاح، ودرس كل ما يتعلق بشؤون الثورة، وعلى ضوئها تم توضيح آفاق المستقبل وإستراتيجية العمل، وإن كان المجتمعون متفقين على كثير القضايا فان نقاشاتهم لم تخلوا من الحدة والجدال، ويبدوا في نظرنا بروز جبهتين في هذا النقاش، يمثل الأولى زيغود يوسف بثقله المحترم، ويمثل الثانية بقية الأعضاء الذين يبدوا أنهم جاءوا إلى المؤتمر متفقين على المقررات بحكم ارتباطهم بتنسيق وثيق، ومع ذلك كانت جبهة زيغود التي عززت بنائبه ابن طوبال قوية، لكنها تمثل أقلية ظلت تناقش بحدة بعض المسائل الخلافية ومنها:

. مسألة التمثيل: حيث تساءل زيغود عن عدم حضور ممثل الأوراس، وبالخصوص الوفد الخارجي، وعبر عن تخوفه من هذا الغياب الذي ينقص من أهمية المؤتمر، وذلك بحكم أهمية منطقة الأوراس ودورها في الثورة وثقل قادة الخارج وقوة نفوذهم المعنوي.

. مبدأي "أولوية الداخل على الخارج" و"أولوية السياسي على العسكري": حيث عارض زيغود بشدة المبدأين، وبخاصة المبدأ الثاني معتبرا أن القائد يجيب أن يكون سياسيا وعسكريا في نفس الوقت.

. إلحاق المعتدلين بقيادة الثورة: إذ اعترض زيغود على تولي المعتدلين أية مسؤوليات قيادية في الجبهة لأن ذلك يضر بالثورة، وهذا الأمر جعله يسر لمرافقيه بالعبارة الخالدة " الاستقلال ممكن التحقيق أما الثورة فقد انتهت" (عباس، م، 2007: 159).

ثانيا ـ قرارات المؤتمر ونتائجه:

لقد صادق المؤتمرون بعد المناقشات على قرارات هامة، يمكن أن نلخصها في النقاط الآتية:

1- تقسيم البلاد إلى ست ولايات ورسم حدودها من جميع الجهات، وتقسيم الولاية على النحو التالي: الولاية ثم المنطقة ثم الناحية ثم القسمة، وتكون القيادة في مجلس الولاية جماعية بين

قائد الولاية ونوابه الثلاث.

2- نظمت القرارات العسكرية التي أقرت التوحيد العسكري والرتب واللباس والمصالح والمخصصات.

3- أقرت القرارات السياسية تنظيم النشاط السياسي على الشكل التالي:

أ- المؤسسات القيادية وتشمل:

. لجنة التنسيق والتنفيذ: تتكون من خمسة أعضاء، وتتكفل بالإشراف على الجهاز السياسي والعسكري للثورة، ولها الحق في تشكيل الحكومة المؤقتة بالتنسيق مع المندوبين في الخارج.

. المجلس الوطني للثورة الجزائرية: يتألف من 34 عضو (17 منهم دائمين و17 مؤقتين) ويعتبر المجلس أعلى جهاز تشريعي للثورة (برلمان)، يوجه سياسة جبهة التحرير الوطني الداخلية والخارجية, وهو المخول بإيقاف القتال والبت في القرارات المصيرية.

ب- المحافظون السياسيون: مهمتهم سياسية، فهم يساعدون جيش التحرير الوطني ويقدمون المشورة وينقلون الأخبار ويوجهون الشعب ويواجهون الحرب النفسية.

ج – المجالس الشعبية: تشكل عن طريق الانتخاب في جميع قرى ومدن الوطن لتشرف على سير الحياة اليومية وما يتعلق بالشؤون العدلية والمالية والاقتصادية.

د- العلاقة بين الجبهة والجيش: قرر المؤتمر أولوية السياسي على العسكري.

هـ- العلاقة بين الداخل والخارج: أقر المؤتمر أن تعطى أولوية الداخل على الخارج.

و- المحاكم: تشكيل محاكم لتحاكم المدنيين والعسكريين, وفقا للقوانين المسنة (D, S, 1990 ; 236-246).

هذا وأقر المؤتمر ميثاقا سياسيا لسير الثورة يعد منهاجا ودستورا لها، وجاء في كراسة تشتمل على أكثر من ثلاثين صفحة، وقد تم تحضيرها أشهرا قبل انعقاد المؤتمر، وذلك بمساهمة عبان وابن امهيدي وتمام وكذا العناصر الشيوعية الملتحقة بالثورة (عمار أوزقان، محمد لبجاوي)، وقد ورد في محضر المؤتمر أن المجتمعين اطلعوا على الميثاق ووافقوا عليه، ولا ندري ما إذا نوقشت جميع قضاياه أو صودق عليه بشكل عام، ونرجع أن تكون المصادقة تمت بعد القراءة الأولية ولم يعطى له كامل الوقت رغم أهميته السياسية والإيديولوجية، مثلما حدث لميثاق طرابلس في ماي 1962، وقد استعرض الميثاق الحالة السياسية الراهنة التي تنتهجها جبهة التحرير الوطنية وإستراتيجية المستعمر في القضاء على الثورة، وتعرض للأفاق العامة التي حددت الأهداف من الحرب والمهام الجديدة

لتفعيل الثورة، وفيما يخص وسائل العمل والدعاية استعرض الميثاق نظرة جبهة التحرير الوطني للحركة الفلاحية والعمال والشباب والمثقفين والتجار والمرأة. وأكد على تضامن الشمال الإفريقي وتفعيل الموقف الجزائري أمام العالم (وزارة الإعلام والثقافة، 1979: 13 82).

ويعد مؤتمر الصومام انتصارا كبيرا للثورة التحريرية، فلقد أرسى تنظيما سياسيا محكما وخلق جيشا نظاميا، وخرج بقيادة وطنية موحدة قادرة عل تنسيق المواقف والإشراف على الثورة في كامل مناطق الوطن، وقد أثرى منهاج مؤتمر الصومام إيديولوجية جبهة التحرير الوطني، وزود الثورة بالأدوات التي كانت تنقصها لتوفير أسباب نجاح الكفاح المسلح والوصول إلى استقلال البلاد، وإنه وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهها المعارضون لمقررات الصومام فإن المؤتمر ومقرراته كانت نقلة نوعية في مسيرة الثورة التحريرية، وتأكيد على ذلك يمكن الاستئناس بشهادة ابن طوبال الذي تحدث عن ايجابيات مؤتمر الصومام لإطارات جبهة التحرير الوطني في مستهل عام 1960 بالقول: "...لكن هذا المؤتمر رغم نقائصه ورغم ضعف التمثيل على المستوى الوطني أقام مع ذلك وحدة نظامية، وحققت الجزائر لأول مرة مثل هذه النتيجة، وشهدنا لأول مرة مثل هذا التنسيق ومثل هذه المعركة، أعني تنصيب هياكل كانت هي الهياكل نفسها في جميع الأماكن، ولأول مرة كان لنا جيش موحد لم يكن له في السابق من الجيش إلا الاسم... ولأول مرة أيضا في تاريخ ثورتنا حدد ما يشبه المبادئ، أو خطوط السير لثورتنا فحظيت بنفس جديد وبروح جديدة لاستئناف سيرها وبقوة أزيد وثقة في المستقبل إلى حد، وبقيادة موحدة في هذا الوقت كان التنسيق فعليا بين الولايات، كما أن التنسيق بين الداخل والمنظمة في الخارج كان حقيقيا، وهو ما لم يكن موجودا من قبل." (A N A, GPRA, B49, Dos 1).

ومما سبق يتجلى لنا أن انعقاد مؤتمر الصومام كان حدثا كبيرا في تاريخ الثورة التحريرية، وقد كان محطة حاسمة لتنظيم الثورة سياسيا وعسكريا وتوحيد القيادة وإستراتيجية العمل وتوضيح الموقف من مختلف القضايا، وبفضل ما أقره مؤتمر الصومام من تنظيمات ومبادئ قطعت الثورة أشواطا في مواجهة السياسة الفرنسية وإلحاق الهزيمة بمخططاتها الجهنمية.

ثالثا: جهود تجسيد مقررات المؤتمر:

بمجرد عودة القادة المشاركين في مؤتمر الصومام إلى مراكز نشاطهم بادروا إلى إعلام المسؤولين المحليين بالمقررات المصادق عليها، وطلبوا منهم مباشرة تنفيذها في الميدان، وقد بادرت بعض المناطق إلى عقد الاجتماعات للمناقشة والإثراء، وصدرت في مناطق أخرى أوامر

فوقية تطلب التعجيل بتجسيد مقررات الصومام العسكرية منها والسياسية، وفي هذا الشأن يؤكد علي كافي. احد قادة الولاية الثانية. على ما يلي: "وشرعت الولاية في عملية شرح ضخمة لقرارات المؤتمر بعد مؤتمرها المحلي" (كافي، علي، 2004: 109). وجسدت منطقة القبائل مقررات المؤتمر بانضباطية وحزم، حيث تم إرساء النظام السياسي والإداري، وأعيدت هيكلة الجيش ونصبت المجالس الشعبية (بوعزيز، يحي، 2004: 154)، وكذلك الأمر بالنسبة للمنطقة الرابعة التي كان يقودها اوعمران، وأما المنطقة الخامسة فقد تفاجأ قادتها بانعقاد المؤتمر، واحتج البعض على مقرراته، لكن ما لبث أن اقنع ابن امهيدي نوابه بضرورة تجسيد مقررات المؤتمر(عباس، محمد، 2003:61 . 62)، وكان طبيعيا أن تجد مهمة تجسيد القرارات صعوبات ميدانية عملت قيادة الولايات على تجاوزها، من مثل تحديد المسؤوليات بدقة والتقسيم الجغرافي...الخ، وقد استهجن مثلا إطارات الشمال القسنطيني إجراء تعليق الرتب ولم يطبقوه، كما استمر الجدل طويلا بخصوص مبدأ أولوية السياسي على العسكري وأفرز انعكاسات سلبية (كافي، علي، 2004: 109. 110)، لكن غير المتوقع هو أن يجد المؤتمر كل تلك المعارضة الشديدة لمقرراته، وهي معارضة نشطتها القيادات التي لم تحضر المؤتمر، وهي قيادة الوفد الخارجي وقادة الأوراس والنمامشة والقاعدة الشرقية في الداخل.

رابعا: معارضوا مؤتمر الصومام:

ظهرت معارضة لمؤتمر الصومام وللجنة التنسيق والتنفيذ في الداخل والخارج، وكان يحركها أساسا ابن بلة بدعم من الاستخبارات المصرية، وفيما يلي استعراض لهاتين المعارضتين.

1. المعارضة في الخارج:

بمجرد تلقي ابن بلة ورفاقه رسالة عبان التي تعلمهم بانعقاد المؤتمر وتبلغهم بقراراته أعلن ابن بلة معارضته لهذه القرارات، والتمس من عبان تأجيل الإعلان عن المقررات إلى غاية مناقشتها مع جميع القادة المؤهلين (Harbi, M , 1981: 168)، وبعث ابن بلة برسالة أخرى إلى قيادة الداخل، ضمنها مؤاخذاته على مقررات المؤتمر، وعددها في النقاط الآتية:

. غياب الطابع التمثيلي للمؤتمر بسبب عدم حضور الوفد الخارجي، الأوراس، وهران، والمنطقة الشرقية.

. عدم أهلية عبان ورفاقه لوحدهم في التحكم في مصير الثورة التي يجهلون كل شيء عنها (Harbi M , 1981:169 -171).

وقد احتدم الجدل وتحول إلى عداء مستفحل بين خصمين عنيدين: عبان وابن بلة، ومثلما اجتهد عبان في ترتيب الأمور لصالح تكريس نفوذه سعى ابن بلة للبحث عن أنصار له لإعادة الاعتبار لنفوذه، ولن يكون ذلك إلا بعقد مؤتمر تصحيحي أو الدخول في مناوشات مسلحة وتصفية حسابات، وقد كادت تستفحل الفتنة بين ابن بلة وقادة الداخل، لكن حادث اختطاف الطائرة المقلة لابن بلة ورفاقه في أكتوبر 1956 وضعت حدا لذلك وحسمت الموقف لصالح عبان.

ومع ذلك فان دعاية ابن بلة القوية ضد المؤتمر وتوكيله لمحساس مسؤول قاعدة تونس بحماية الثورة بالطريقة التي يراها مناسبة دعت محساس وأنصاره الى الاستمرار في حملة المعارضة لمقررات الصومام، وقد كان محساس المقرب من ابن بلة ثوريا صارما معارضا للسياسيين، ويرى ضرورة مجابهة السياسيين الذين "حرفوا الثورة" حفاظا على الثورة، ومن أجل ذلك كان ينسق مع ابن بلة ومحمد يوسفي في المغرب من أجل تصحيح الوضعية(حربي، م: 159:1983 .160)، وبحكم تواجده في قاعدة تونس الإستراتيجية وارتباطه الوثيق بقيادة أوراس النمامشة والقاعدة الشرقية فقد شكل جبهة معارضة قوية موالية لابن بلة، وتؤكد بعض الشهادات أن هذه القيادات كانت تحضر لمؤتمر تصحيحي في تونس بمناسبة حضور ابن بلة لاجتماع تونس في أكتوبر 1956، وأنه وصلهم من ابن بلة خطاب مسجل يعدد فيه المزالق التي وقع فيها المؤتمرون ويدعوا إلى تصحيح المؤتمر(الوردي قتال، شهادة، تبسة، يوم 17 جويلية 2005)، وواصل محساس التزامه بعد اعتقال ابن بلة، فقد رفض الاعتراف بقيادة لجنة التنسيق والتنفيذ، والتعامل مع مبعوثيها إلى تونس (ابن عودة، آيت احسن، مزهودي)، وأعلن معارضته لقرارات الصومام، وقد دعا محساس القادة الموالين له لعقد اجتماع في ديسمبر 1956، صادق على مبدأ الوقوف في وجه "محرفي الثورة" ومعارضة قرارات الصومام، وقد اجتهدت لجنة التنسيق والتنفيذ في تجاوز المشكلة مع محساس وديا، وأمام تفاقم الأزمة رأت لجنة التنسيق والتنفيذ أن تتحرك بسرعة لتخليص قاعدة تونس من تنازع سلطتين، ومن فوضى عارمة تؤثر على إمدادات الأسلحة وعلى العلاقات مع السلطة التونسية، فانتقل الأمين دباغين إلى تونس وشرح للرئيس بورقيبة وأعضاء الديوان السياسي حقيقة الوضع في الجزائر، وفند افتراءات محساس الطاعنة في قرارات مؤتمر الصومام وسلطة لجنة التنسيق والتنفيذ، ولكنه لم يستطع كسب الموقف التونسي في هذه القضية، إذ أن محساس كان محل إيثار كثير من المسؤولين التونسيين(المدني، أ، 1986: 336)، وكانت السلطات التونسية بدورها مترددة، وتريد أن تناور باستعمال الورقتين لخدمة أهدافها، وأثرها

اتخذت لجنة التنسيق والتنفيذ قرارها بتعيين أوعمران مسؤولا عسكريا عن الوفد الخارجي ومشرفا عن التسليح، وطلبت منه الانتقال إلى تونس لتسوية قضية محساس بالتعاون مع ابن عودة ومزهودي، وأبرقت برسالة إلى السلطات التونسية، شرحت فيها الموقف من الفتنة التي يثيرها محساس في تونس ويوقع فيها الأوساط التونسية في الخطأ، وأكدت لجنة التنسيق والتنفيذ بتوقيع جميع أعضائها "نحرص على إعلامكم بأن لجنة التنسيق والتنفيذ المنتخبة في المؤتمر الوطني في 20 أوت 1956 عينت الدكتور الأمين محمد رئيسا لوفد جبهة التحرير الوطني والعقيد اوعمران نائبا له مكلفا على الخصوص بفرع الإمداد، وفي انتظار وصول هذا الأخير الذي هو في طريقه إلى تونس فإن الرائدين بن عودة بن مصطفى المدعو "مراد" وإبراهيم مزهودي مؤهلان للحديث باسم لجنة التنسيق والتنفيذ، ولذلك نرجو منكم تسهيل مهمة الإخوة الأمين واوعمران ومزهودي وبن عودة ونرجو منكم زيادة على ذلك نقل الوقائع المذكورة أعلاه إلى علم حكومتكم (Mabrouk, B, 2004,219-220)، وكان لهذه الرسالة ولمجيء اوعمران إلى تونس ولقائه مع بورقيبة أثر في تحول موقف السلطات التونسية إلى جانب لجنة التنسيق والتنفيذ، وكان محساس في نظرها ما زال يحظى بالتمثيل الرسمي والنفوذ الفعلي في تونس، خاصة وأن مجموعات سوق أهراس وأوراس النمامشة تقف إلى جانبه، وأنه يتفهم المطالب التونسية، ولكن السلطات التونسية لم تكن تقدم له دعمها إلا مقابل القطيعة التامة لأتباعه مع أنصار صالح بن يوسف ووضع حد لتصرفات المجموعات المتمركزة في تونس(زروال، م، 2007: 397)، وقد سمحت لها الظروف المستجدة، وخاصة اعتقال قادة الوفد الخارجي في أكتوبر 1956 وتمكنها من فرض السيادة من أن تتبنى سياسة بديلة جاءت بها ممثل لجنة التنسيق والتنفيذ، وهو يلتمس عقد اتفاقية تنظم شؤون الثورة وتعيد النظر في ضوابط العلاقات الجزائرية التونسية، وهكذا قدمت السلطات التونسية دعمها لأوعمران مقابل تقديمه لتنازلات معتبرة تفيد في تأكيد السيادة التونسية(زروال، م 2007: 403. 404).

واتبع اوعمران في تونس سياسة متشددة ضد محساس وقادة سوق أهراس المستقلين عن الولايتين الأولى والثانية والمجموعات الأوراسية، ويبدو أن محساس خضع للأمر الواقع وتجنب الدخول في صراع مع اوعمران بتونس حفاظا على مصلحة الثورة (محساس،ع، مقابلة: 9 جويلية 2005)، في حين يذكر عمار سعيداني أن قادة الأوراس وسوق أهراس غضبوا لتنحية أوعمران محساس عن مسؤولية تونس وتعيين ابن عودة، وكلفوا فوجا بتنحية ابن عودة بالقوة وإرجاع

محساس إلى مكتبه بتونس، لكن محساس فضل الانسحاب من منصبه تحت ضغط أوعمران (سعيداني، ط، 2001: 159.158)، وقد كان أوعمران في الوقت ذاته يخطط لإخضاع المجموعات الرافضة لقرارات مؤتمر الصومام بالقوة حينا والمناورة أحيانا (مزهودي، شهادة، محفوظات شخصية).

وقد اهتم أوعمران منذ بداية سنة 1957 بمهمة التموين بالأسلحة والذخيرة ونقل الشحنات المتواجدة بليبيا عبر التراب التونسي لتسلم إلى وحدات الجيش، وكان أول عمل أنجزه هو التفاوض مع الحكومة التونسية بهدف الاستفادة من مساعداتها وإيجاد آليات محكمة لإنجاح مهمة تمرير الأسلحة (عباس، م، 1992: 187)، إن هذا التعاون التونسي الجزائري قضى على جيوب المعارضة اليوسفية وأنهى الخلاف المتفاقم بين جماعة الخارج ولجنة التنسيق والتنفيذ، وقد تفرغ أوعمران لإعادة النظام بالمناطق الحدودية الجزائرية كونها أرضية إستراتيجية لمرور الأسلحة كان محساس يفكر من قبل لجعلها ولاية مستقلة.

إن محساس الذي تظاهر بالاستقالة كان يناور في الخفاء لإبقاء سلطته مفروضة في تونس، وعندما أدرك أوعمران نواياه قرر اعتقاله، تمكن محساس من الهروب من سجنه وقدم شكوى إلى بورقيبة زادت في تعقيد العلاقة معه، اذ تضمنت تلك الشكوى الدعوى بان أوعمران يفكر في التحالف مع اليوسفيين وفي الانقلاب على نظامه، ولعلاج هذه المشكلة استدعى أوعمران محمد الأمين دباغين ويزيد في 15 أفريل 1957 لعقد مباحثات مع بورقيبة ووزير داخليته المهيري، والمطالبة بتسليم محساس لقيادة لجنة التنسيق والتنفيذ، ولكن السلطات التونسية ظلت تماطل (تقرير أوعمران A.N.A, Boite n° 182 , DOS n°5).

لقد أشار أوعمران في إحدى تقاريره بتفصيل إلى مشكل تطهير قاعدة تونس من محساس وأتباعه، وقد خص وضعية منطقة سوق أهراس بالحديث ولم يشر إلى مناطق النمامشة وصدراتة وعين البيضاء، وهي مناطق كان يتوجب على قادتها البحث عن حلول لقيادة الولاية الأولى بالتعاون مع قادة منطقة الأوراس الذين وصلوا في هذه الأثناء إلى تونس، فقد رأى أوعمران ان يتبع خيار التفاوض مع قادة سوق أهراس، واقترح أن تشكل منطقتهم قاعدة شرقية في مرتبة ولاية، تتكفل بنقل السلاح إلى الداخل، كان هدفه استمالة بوقلاز قائدها ونوابه من اجل التعاون معه وإنهاء موالاتهم لمحساس، حصل هذا الاتفاق في مارس 1957 والتمس أوعمران من لجنة التنسيق والتنفيذ مباركته (A.N.A, Boite n° 182 , DOS n°5) وهو ما حصل بالفعل، واتبع أوعمران خيار الشدة مع قادة المناطق الأخرى المناوئين له، لقد زكى تعيين محمود لقيادة منطقة

النمامشة وشن حملة تصفية ضد أنصار لغرور، كما قرب إليه عبدالله بلهوشات ممثلا لمنطقة صدراته، وكان حاج علي الحركاتي من العناصر الأولى الداعمة لسلطة أوعمران فاختاره لتمثيل منطقة عين البيضاء، اعتقد اعمران ان سياسة اللين حينا والشدة أحيانا يمكن أن تحقق نتائجها، وفعلا حقق مبتغاه ولكن على حساب تضحيات جسام، يقول اوعمران عن مهمته التي توجت بإنهاء مشكلة محساس وطروحاته المظللة للقيادة في تونس والداخل، " بالرغم من تجذر هذه الحملة في داخل المناطق، نجحنا في مواجهة تلك الذهنية عن طريق عمل طويل النفس تمثل في اجتماعات مختلفة داخل المناطق، وحققنا نتائج ايجابية بحيث أصبحت لجنة التنسيق والتنفيذ معترفا بها من طرف كل المناطق كما تم الاعتراف بأخطاء الماضي وتصحيحها نهائيا إلى درجة صار معها محساس في حكم عامل الفتنة للقضية الجزائرية حتى في نظر أولائك الذين كان يعتمد عليهم من أجل إسقاطنا"(A.N.A, Boite n° 182 , DOS n°5)، وأخيرا اضطر محساس للفرار إلى خارج تونس خشية من اغتياله، وهكذا يبدوا لنا أن المعارضة التي قادها محساس باسم بن بلة في تونس كانت شديدة ومؤثرة على سلطة لجنة التنسيق والتنفيذ، وقد واجه محساس بالقوة القادة المعارضين (لزهر شريط قائد النمامشة وعباس لغرور قائد الأوراس وطالب العربي قائد السوافة)، وهكذا فان لجنة التنسيق والتنفيذ لم تفرض سيطرتها نهائيا في تونس إلا بتضحيات جسيمة في النصف الأول من سنة 1957(مقلاتي،ع،، 2009: 487 495).

هذا ولم تسجل قاعدة المغرب أية معارضة تذكر بسبب إشراف قيادة ولاية وهران على القاعدة (الثعالبي، ط، مقابلة، 16 مارس 2006)، وأما فدرالية الجبهة بفرنسا فأبدت بعض التحفظ لكنها لم تعلن أية معارضة، وقد بادر عبان بإرسال صالح الوانشي للإشراف على الفدرالية إلى أن عينت لجنة التنسيق والتنفيذ شخصا آخر موالي لعبان هو محمد لبجاوي.

2. المعارضة في الداخل:

ارتكزت المعارضة في الداخل بين قادة الأوراس المتفرقين والنمامشة والقاعدة الشرقية، فقد عرفت منطقة الأوراس بعد اغتيال شيحاني بشير واستشهاد مصطفى بن بو العيد انقساما حادا، ولم يتسنى لها حضور مؤتمر الصومام، وكان عباس لغرور وعاجل عجول يشرفان على خنشلة وكيمل، في حين قررت قيادة منطقة باتنة الانفصال وتعيين عمر بن بوالعيد الذي اتصل بقادة منطقة القبائل مسؤولا عن الأوراس، كما قررت كتلة النمامشة الانفصال عن قيادة الأوراس إثر خلافات حادة مع لغرور، وشكلت بعدها مجموعة عين البيضاء. صدراتة قيادة مستقلة (قتال، و،

مقابلة، 17 جويلية 2005).

وقد درس مؤتمر الصومام وضعية الأوراس وقرر إرسال زيغود ومزهودي وعميروش لإصلاح الوضع، واثر استشهاد زيغود وانتقال مزهودي الى تونس انتقل عميروش إلى الأوراس، وكان هذا الأخير صارما في معاملته لقادة الأوراس ومتسرعا في إصدار أحكامه، فقد حكم بإعدام عجول مما حدا بهذا الأخير لتسليم نفسه لأقرب مركز عسكري فرنسي، كما أن سياسة القوة التي اتبعها عميروش وأوعمران مع قادة أوراس النمامشة خلفت انعكاسات كبرى على استقرار المنطقة، حيث استمرت الأزمة التي أضرت كثيرا بنشاط الثورة هناك، لم يحسمها تعيين محمود الشريف قائدا للولاية الأولى في ربيع عام 1957، إذ ورغم الاغتيالات الجماعية التي لحقت بخيرة القادة وإرساء النظام الجديد ظلت بعض المجموعات تعلن الثورة على قرارات الصومام والقيادة الجديدة (زروال، م 2007: 259 345).

لقد توصل عميروش بعد جهود كبيرة من عقد اجتماع في 20 أكتوبر 1956 ضم ثلاث قادة بارزين في الأوراس، هم الطاهر نويشي واحمد نواورة ومحمد العموري، سيشكلون نواة صلبة لقيادة جديدة يتصدرها العموري، الذي أمضى بعدها رسالة باسم منطقة الأوراس يعبر فيها عن ولائه لكريم وسلطة القيادة الجديدة، وفي اجتماعات حاسمة لقادة الاوراس برعاية عميروش ومحمدي السعيد في القبائل الصغرى (ديسمبر 1956 . جانفي 1957) تمت دراسة المشكلات التي تتخبط فيها الأوراس، عقدت تلك الاجتماعات في غياب عمار بن بوالعيد ومسعود بن عيسى ولكن بحضور أغلب القادة: لعموري، الحاج لخضر، الطاهر نويشي، إبراهيم كابويا، المكي حيحي، عبد الحفيظ طورش، مدور عزوي، مصطفى رعايلي ومحمد الشريف بن عكشة، والتحق بهم سي الحواس خلال الاجتماع الأخير، في الاجتماع الأول بأقبو في 28 ديسمبر 1956 تم التوافق على مبادئ العمل الثوري وفق ما يقره مؤتمر الصومام، وقدمت عدة مقترحات لتفعيل العمل الثوري والتنسيق بين الولايات (زروال، م 2007: 503)، وخصص الاجتماع الثاني في 4 جانفي 1957 لدراسة مشكلة القيادة في الأوراس والمسائل التنظيمية، دام لمدة أسبوعين، وقد أدان الاجتماع تصرف عجول، وقرر إرسال لجنة للتحقق من تهمة المصالية الموجهة الى سي الحواس، واتفق على ضبط حدود الولاية ومناطقها، وطالب بتموين الولاية بالمال، وكانت أهم نقطة درسها الاجتماع هي تشكيل قيادة للولاية الأولى، حيث تم التطرق للخلاف الناشب بين الأوراسيين والنمامشة، وقدم تقرير في هذا الشأن من طرف علي النمر عن المهمة التي قام بها لدى

القادة النامشة، ولأن القادة النامشة كانوا متواجدين بتونس تقرر أن يعقد اجتماع في مدينة تونس ينتدب له لعموري ونويشي ويصحبهم عميروش(زوزو، ع، 2004: 428. 429)، وخلال الاجتماع الثالث المنعقد في 11 جانفي 1957 والذي حضره القادة الذين حضوا الاجتماعين السابقين مضافا إليهم سي الحواس وأحمد قادري اللذين وصلا المنطقة للتو، تعرض المجتمعون لقضية سي الحواس، حيث وجهوا له أربعة عشر سؤالا تدور كلها حول وضعية منطقته وموقفه من المصالية، وقد أجابهم بأن التهمة الموجهة له نميمة وأنه كان معينا رسميا من طرف ابن بوالعيد، وأعلن محمدي السعيد في نهاية الاجتماع عن قرار لجنة التنسيق والتنفيذ تعيين لعموري ممثلا للأوراس في تونس (زوزو، ع، 2004: 437)، وغداة الاجتماع تحرك موكب عميروش والعموري ونويشي باتجاه تونس عبر الشمال القسنطيني، وعاد القادة الآخرون إلى مناطقهم متذمرين من عدم عودة العموري معهم، لكنهم عازمين على تطبيق ما اتفق عليه ومنددين بأولئك الذين ما زالوا يعارضون قرارات الصومام ويعملون على إحياء النعرات المحلية (زروال، م، 2004: 312 313)، حيث كان عمر بن بوالعيد ومسعود بن عيسى يروجان أن قادة النامشة عازمون على منع عميروش من دخول منطقتهم، وهكذا نجحت سلسلة الاجتماعات هذه في تكوين قيادة متماسكة للأوراس يعتمد فيها على كفاءة الشاب المثقف لعموري ورفيقه أنواورة وعلى سي الحواس.

وبدوره نجح مزهودي في إقناع قادة النامشة مبكرا بتعيين قائد جديد لمنطقتهم هو محمود الشريف، وأخذ بيده في توطيد سلطته، إبعاد القيادة القديمة عن الميدان وإمداده بالسلاح وكسب تعاون السلطة التونسية، ولكن مزهودي وبن عودة وجدا مشاكل في تثبيت سلطة لجنة التنسيق والتنفيذ في تونس، حيث كان محساس يحرض قادة سوق اهراس ولغرور وجماعته على معارضة قرارات مؤتمر الصومام المنحرفة، تسببت تلك المعارضة الشديدة في تونس في تأخير حسم الأمور.

وهكذا تم إرساء تنظيم مؤتمر الصومام في الأوراس تدريجيا، ووصل الى عمق المنطقة الثالثة الصحراء، والتي كان يتولاها سي الحواس وسي زيان، حيث أرسل عميروش عدة لجان الى هذه المنطقة من أجل شرح قرارات الصومام وتجسيدها، وفي مارس 1957 عقد سي الحواس اجتماعا موسعا لمسؤولي المنطقة من أجل تأكيد تجسيد قرارات الصومام العسكرية والسياسية (السقاي،م، مجلة أول نوفمبر: عدد 90. 91، 1988: 14. 15)، في حين ظلت بعض الفرق في الاوراس تعبر عن معارضتها لمؤتمر الصومام وعرفت تاريخيا باسم "المشوشين"، لم تتمكن قيادة الولاية الأولى من التخلص من حركتهم إلا في سنة 1960(مقلاتي،ع، 2013: 82.81).

خامسا: تجسيد مبادئ منهاج الصومام.

إذا كانت القرارات العملية لقيت كل هذه المعارضة فإن تجسيد منهاج الصومام الذي تكفلت به القيادة التنفيذية جرى في ظروف أخرى. لقد حدد منهاج الصومام إستراتيجية العمل المستقبلي على المستوى الداخلي في:

– إضعاف الهيكل العسكري والبوليسي والإداري والسياسي للمستعمر.

.توفير الوسائل المادية للحرب.

.تدعيم تناسق العمل السياسي والعسكري وترقيته.

. مجابهة مناورات العدو الدعائية، وذلك بتمتين الوحدة الوطنية وتفعيل دور الطبقات الاجتماعية، وتشجيع المترددين على الالتحاق بالثورة، وعزل المتطرفين من الاستعماريين من خلال كسب الأحرار الفرنسيين.

وفي المجال الخارجي حددت إستراتيجية العمل في كسب التأييد المادي والمعنوي للثورة. وذلك بواسطة:

.تصعيد حملة تأييد الرأي العام الدولي.

. كسب الإعانة الدبلوماسية لصالح قضية الجزائر من خلال حمل الدول المحايدة على تأييد القضية الجزائرية.

وحددت جبهة التحرير الوطني وسائل العمل في وضع آليات محكمة لتنظيم الشعب الجزائري لخوض الكفاح، وتصفية الجو السياسي وتوضيح الأهداف الكفاحية، واستثمار الفئات الاجتماعية الفاعلة في دعم الثورة "الفلاحين، العمال الشباب، المثقفون، التجار والحرفيون، النساء"، والبحث عن الأنصار المستعدين لدعم القضية الجزائرية وهم كثر "الأحرار الفرنسيون، يهود الجزائر، تضامن الشمال الإفريقي" (وزارة الإعلام والثقافة، 1979: 13.53).

وقد عملت لجنة التنسيق والتنفيذ التي اتخذت من مدينة الجزائر مقرا لها على تنفيذ هذه الإستراتيجية، وكان العمل يجسد بنظرة شاملة وتنسيق جماعي محكم، وذلك رغم بعض التحفظات التي كان يأخذها كريم وبن امهيدي على عبان الذي عرف بتظاهره بالزعامة (Dahlab, S, 1990,: 57-58)، وقد وزعت بين أعضائها المسؤوليات، فتكفل ابن امهيدي بالإشراف على العمل الفدائي، ودحلب بالصحافة والإعلام، وابن خدة بالعلاقات والتنظيم السياسي والأمانة، وعبان بالتنسيق العام، في حين كان كريم شكليا يشرف على الجانب العسكري

(Dahlab, S, 1990,: 59- 60).

وكون ابن امهيدي بخبرته شبكة فدائية واسعة تقبض على القصبة أوكل قيادتها العسكرية لياسف سعدي، وقد كان حكيما متقد الذكاء، وهو صاحب فكرة الإضراب العام الذي جسد في بداية عام 1957، وكان يهدف من ورائه الى تحقيق مكاسب سياسية ومعنوية لصالح القضية الجزائرية، ونهض ابن خدة بجهود معتبرة في الاتصال بالأحرار الفرنسيين، وإدارة شؤون منظمات الطلبة والعمال والتجار. وقد كانت معركة العمال والطلاب شرسة ضد المستعمر، والتحق بهما إليهما الاتحاد العام للتجار الجزائيين الذي أعلن عن ميلاده في منتصف سبتمبر 1956 مباشرة بعد مؤتمر الصومام، وكللت جهود دحلب بتوزيع العديد من المنشورات وطبع صحيفة المجاهد بإمكانيات بسيطة في مدينة الجزائر(Dahlab, S, 1990,: 59- 60)، وقد عرف عبان خلال هذه المرحلة بنشاطه الحثيث وإدارته الحازمة للجنة التنسيق والتنفيذ، وإضافة إلى النشاط السياسي الذي كان يشرف عليه فقد باشر إجراء اتصالات مع بعض الأحرار الفرنسيين الذين نقلوا وجهة نظره للمفاوضات لرئيس الحكومة "قي موللي". وكان يشرف على النشاط الخارجي ويلح على تنظيم الفدراليات بالخارج وتفعيل النشاط الدبلوماسي وتوفير السلاح بأقصى سرعة، كما كان يتابع مع رفاقه تطورات الثورة عبر مختلف الولايات(Ben khada, b, 2002: 31 -32).

الخاتمة

من خلال ما عرضناه نخلص للتأكيد أخيرا أن قرارات مؤتمر الصومام ومنهاجه كانت لبنة مهمة في تفعيل مسيرة الثورة التحريرية، كونها أسهمت في وضع استراتيجية موحدة ومنظمة للثورة التحريرية.

وقد وجد منظرو الصومام صعوبة بالغة في تفعيل قراراتهم التنظيمية والإيديولوجية، خاصة وأنها كانت تتسم بالمثالية وعدم انسجامها مع واقع الثورة، وعليه كان عليهم الانتظار طويلا من أجل إتمام تجسيد وتعميم تلك القرارات.

وكانت معارضة الوفد الخارجي والقادة الموالين له في الداخل لمقررات الصومام شديدة، وخاصة القرار المتعلق بأولوية الداخل على الخارج وأولوية السياسي على العسكري، والذي أثار جدلا كبيرا، وتعرضت الثورة بسبب ذلك لمحنة شديدة، لم تنتهي إلا بخسائر جسيمة وبجهود ضيعت في حمل المعارضين للاعتراف بتلك القرارات وبسلطة لجنة التنسيق والتنفيذ.

المصادر والمراجع

أولا. المصادر:

1. الوثائق:

. الأرشيف الوطني الجزائري، بئر خادم. A N A, GPRA, B49, Dos 1.

. الأرشيف الوطني الجزائري، بئر خادم. A.N.A, Boite n° 182 , DOS n°5

2. الشهادات:

. شهادة محررة بخط يد إبراهيم مزهودي.

. شهادة المجاهد عبد الحفيظ امقران، أدرار، يوم 6 أفريل 2008

. شهادة الطيب الثعالبي مسؤول جبهة التحرير بالمغرب، مقابلة شخصية، الجزائر العاصمة، يوم 16 مارس 2006،

. شهادة الوردي قتال، تبسة، يوم 17 جويلية 2005

. شهادة أحمد محساس، مقابلة شخصية، الجزائر العاصمة، يوم 9 جويلية 2005

3. الكتب باللغة العربية:

. سعيداني الطاهر: القاعدة الشرقية قلب الثورة النابض، ط1، دار الأمة، الجزائر، 2001

. عباس محمد: فرسان... الحرية (شهادات تاريخية) دار هومة، الجزائر، 2003

. عباس محمد: ثوار ... عظماء، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992

. كافي علي: مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي الى القائد العسكري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999،

. المنظمة الوطنية للمجاهدين: الملتقى الوطني الثاني لتاريخ الثورة، منشورات جبهة التحرير الوطني، الجزائر، 1984، ج2.

. مجموعة مؤلفين: مصطفى ابن بوالعيد والثورة الجزائرية، منشورات جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس، ط1، دار الهدى، عين مليلة، 1999

. وزارة الإعلام والثقافة (الجزائر): النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني 19621954، طبع وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر،1979

4. الكتب باللغة الأجنبية:

- Ben khada ben yousef, Alger, capitale de la résistance 1956 – 1957, éd, houma, 2002,
- BELHOCINE Mabrouke: Courier –Alger- le Caire 1955-1956 et le congré de la Soumam dans la revolution , Casbah ,Alger, 2000,
- DAHLAB Saad :Pour l' Indépendance de l'Algérie :mission accomplie ed, Dahlab, Alger, 1990,
- HARBI Mohammed: Les Archives de la revolution Algerienne ,ed, jeune Afrique ,Paris, 1981,

ثانيا. المراجع:

. بوعزيز يحي: الثورة في الولاية الثالثة، دار الأمة، الجزائر، 2004

. حربي محمد: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل داغر، ط1 مؤسسة الأبحاث العربية – دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983

.زروال محمد: إشكالية القيادة في الثورة الجزائرية، الولاية الأولى نموذجا، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007

.زوزو عبد الحميد: محطات في تاريخ الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2004

.السقاي، محمد: العقيد سي الحواس، مجلة أول نوفمبر، الجزائر، عدد 90 91، سنة 1988:

.عباس محمد: نصر بلا ثمن الثورة الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007

.مقلاتي عبد الله: العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية، دار السبيل، الجزائر، 2009، ج1.

.مقلاتي عبد الله: محمود الشريف قائد الولاية الأولى ووزير التسليح إبان الثورة التحريرية، دار العلم والمعرفة، الجزائر، 2013.

The 1956 Soumame Conference and the problem of embodying its decisions

Dr. Mohammed YAICH*

ABSTRACT

In this article we have tried to address the problem of the task in the history of our revolution, was the question of the embodiment decisions soummam conference, which were not easy and possible only after considerable effort and time period, due to the incompatibility of some of those decisions with the reality of the revolution pension, and perfect each other, in particular resolution on the primacy of the inside to the outside political priority on the military, and the strong opposition it raised at home and abroad, all of which is integrated as part of a political conflict between Abane at home and the son of injury abroad, and was acquitted Home Tunisia and Aures base, came the revolution severe distress, did not end until a loss and serious efforts wasted in getting opponents to accept those decisions, and ultimately show that the decisions Alsomam despite some of the criticisms have been useful to the revolution on the organizational and Unionist level, and this is what we are trying to be addressed in this article.

Keywords: soummam conference– revolution- decisions.

* Faculty of Social and Human Sciences - University of Msila.